

تفسير البحر المحيط

@ 310 @ لغتان بمعنى واحد . وقرء في السبعة : نسقيكم ونسقيكم . وقال صاحب اللوامح : سقى وأسقى بمعنى واحد في اللغة ، والمعروف أن سقاه ناوله ليشرب ، وأسقاه جعل له سقياً . ونسب ضم الفاء لعكرمة والجدرى ، ومعنى ربه . سيده . وقال ابن عطية : وقرأ عكرمة والجدرى : فيسقى ربه خمراً بضم الياء وفتح القاف ، أي ما يرويه . وقال الزمخشري : وقرأ عكرمة فيسقى ربه ، فيسقى ما يروى به على البناء للمفعول ، ثم أخبرهما يوسف عليه السلام عن غيب علمه من قبل أن الأمر قد قضى ووافق القدر ، وسواء كان ذلك منكما حلم ، أو تحالم . وأفرد الأمر وإن كان أمر هذا ، لأن المقصود إنما هو عاقبة أمرهما الذي أدخل به السجن ، هو اتهام الملك إياهما بسمه ، فرأيا ما رأيا ، أو تحالما بذلك ، فقضيت وأمضيت تلك العاقبة من نجاة أحدهما ، وهلاك الآخر . وقال أي : يوسف للذي ظن : أي أيقن هو أي يوسف : إنه ناج وهو الساقى . ويحتمل أن يكون ظن على بابه ، والضمير عائد على الذي وهو الساقى أي : لما أخبره يوسف بما أخبره ، ترجح عنده أنه ينجو ، ويبعد أن يكون الظن على بابه ، ويكون مسنداً إلى يوسف على ما ذهب إليه قتادة والزمخشري . قال قتادة : الظن هنا على بابه ، لأن عبارة الرؤيا ظن . وقال الزمخشري : الطان هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق الاجتهاد فيبعد ، لأنه قوله : قضى الأمر ، فيه تحتم ما جرى به القدر وإمضاؤه ، فيظهر أن ذلك بطريق الوحي ، إلا أن حمل قضى الأمر على قضى كلامي ، وقلت ما عندي ، فيجوز أن يعود على يوسف . فالمعنى أن يوسف عليه السلام قال لساقى الملك حين علم أنه سيعود إلى حالته الأولى مع الملك : اذكرني عند الملك أي : بعلمي ومكانتي وما أنا عليه مما آتاني ، أو اذكرني بمظلمتي وما امتحنت به بغير حق . وهذا من يوسف على سبيل الاستعانة والتعاون في تفريج كربته ، وجعله بإذن الله وتقديره سبباً للخلاص كما جاء عن عيسى عليه السلام : { مَنْ أَنْصَارِي إِلَّا لِلَّهِ } وكما كان الرسول يطلب من يحرسه . والذي اختاره أن يوسف إنما قال لساقى الملك : اذكرني عند ربك ليتوصل إلى هدايته وإيمانه ، كما توصل إلى إيضاح الحق للساقى ورفيقه . والضمير في فأنساه عائد على الساقى ، ومعنى ذكر ربه : ذكر يوسف لربه ، والإضافة تكون بأدنى ملابس . وإنساء الشيطان له بما يوسوس إليه من اشتغاله حتى يذهل عما قال له يوسف ، لما أراد الله بيوسف من إزال أجره بطول مقامه في السجن . ويضع سنين مجمل ، فقيل : سبع ، وقيل : اثنا عشر . والظاهر أن قوله : فلبث في السجن ، إخبار عن مدة مقامه في السجن ، منذ سجن إلى أن أخرج . وقيل : هذا اللبث هو ما بعد خروج الفتية وذلك سبع . وقيل : سنتان . وقيل : الضمير في أنساه

عائد على يوسف . ورتبوا على ذلك أخباراً لا تليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

..

{ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ

عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا يَهُدَا * يَا يَهُدَا *

الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبِيرُونَ * قَالَُوا

أَصْغَبَاتُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ } : لما دنا فرج

يوسف عليه السلام رأى ملك مصر الرّيان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته ، فرأى سبع بقرات

سمان خرجن من نهر يابس ، وسبع بقرات عجاف ، فابتلعت العجاف السمان . ورأى سبع سنبلات

خضر قد انعقد حبها ، وسبعاً آخر يابسات قد استحصدت وأدركت ، فالتوت اليابسات على الخضر

حتى غلبن عليها ، فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها . أرى : يعني في منامه ، ودل على

ذلك : أفتوني في رؤياي . وأرى حكاية حال ، فلذلك جاء بالمضارع دون رأيت . وسمان صفة

لقوله : بقرات ، ميز العدد بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا يحسنهن . ولو نصب صفة

لسبع لكان التمييز بالجنس لا بالنوع ، ويلزم من وصف البقرات بالسمن وصف السبع به ، ولا

يلزم من وصف السبع به وصف الجنس به ، لأنه يصير المعنى سبعاً من البقرات سماناً . وفرق

بين قولك : عندي ثلاث رجال كرام ، وثلاث رجال كرام ، لأن المعنى في الأول ثلاثة من الرجال

الكرام ، فيلزم كرم الثلاثة لأنهم بعض من الرجال الكرام . والمعنى في الثاني : ثلاثة من

الرجال كرام ، فلا يدل على وصف الرجال بالكرم . ولم يصف سبع إلى عجاف لأن اسم العدد لا